4- التجديد الشعري في المشرق

تمهيد:

من طبيعة الحياة والأشياء التجدد، فلا شيء يبقي على حاله، والشعر لا يشذ عن قاعدة التجدد في كل عصر وحين، فكما تتغير أنماط الحياة، وطرق التفكير، يتغير الشعر، وطرق التعبير، والوطن العربي في مطلع القرن العشرين، وبعد الحرب العالمية الثانية، كان متهيئا، بل في حاجة ماسة إلى التطور بفضل احتكاكه بالآخر، بالغالب المستعمر سواء أكان ذلك سلبا بسبب التجربة الاستعمارية المريرة، أو إيجابا، عن طريق التأثر بالغرب بسبب القراءة والدراسة والنقل...ومادام الشعر تعبيرا، كان لابد من تجاوز العصور السابقة، والموضوعات التقليدية، وإعطاء هذا التعبير أبعادا جديدة، ومعاني مبتكرة، ولقد رأينا كيف أن الشاعر أحمد شوقي في المرحلة الأولى من حياته وشعره، اتجه إلى القديم يحاكيه وينسج على منواله، لكنه حين انتقل إلى الغرب، واحتك بالشعب رأيناه يجدد في أساليبه وينوع في موضوعاته، فكان مصدر خير للأدب بفضل شاعريته أولا، وبسبب الحملة النقدية الشرسة التي شنتها عليه جماعة الديوان(العقاد"1889-1964"، والمازني"1889-1949"، وشكري"1886-1958")، وكيف أنه يدعى إلى ترأس جماعة (أبوللو)، التى يفترض فيها أنها من دعاة التجديد على مستوى الكلمة والشعر، فيقبل الدعوة، ويحيي (أبوللو) المجلة، ومن خلالها الجماعة بقوله:

أبوللو مرحبا بك يـــا أبوللو فإنك من عكاظ الشعر ظل
عكاظ وأنت للبلغـــاء سوق على جنباتها رحلوا وحلوا
[..... .....]
عسى تأتيـــنا بمعلقـــــات نروح على القديم بها ندل
لعل مواهبا خفيت وضاعت تذاع على يديك وتستغـــل

إنها رؤية الشاعر الذي وقف بين البعث والتجديد، فهو لا يتجاوز القديم أو يلغيه (عكاظ الشعر)، ولكنه يؤمن بالجديد (نروح على القديم بها ندل، لعل مواهب تذاع وتستغل)، ولو أن الشاعر طال به العمر، لكان يرتجى منه خير كبير للشعر العربي لا سيما في منزعه التجديدي.

جماعة الديوان:

لئن افتقدت الساحة الشعرية شوقيا، وتخطف الموت زميله حافظا في السنة نفسها (1932)، فإن كوكبة من الشعراء والنقاد العرب ممن عاصروا شوقيا وعاشوا بعده حملوا لواء التجديد الشعري والدعوة إليه، وتكتلوا في شكل جماعات أو مدارس، كما أسلفنا فظهرت (جماعة الديوان) [1] عام 1921 نسبة للكتاب النقدي (الديوان) الذي ألفه عباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني، وهؤلاء أفادتهم ثقافتهم المستمدة من الغرب، وقراءتهم في الشعر الإنجليزي الغنائي، فثاروا على الشعر الكلاسيكي، ولم ترقهم الأغراض التقليدية، ورأوا بأن الشعر ترجمان صادق عن الذات، وعن المعاني الإنسانية ، وينقل هذه الرؤية الشاعر عبد الرحمان شكري بقوله في قصيدة (عصفور الجنة):

ألا يا طـــــائر الفردو س إن الشعر وجدان
وفي شدوك شعر النفـ س لا زور وبهتـــان
فلا تعتد بالنـــــــاس فما في الخلق إنسان

فالشعر تعبير ونقل صادق عن النفس، لا مجال فيه للكذب والمزايدة، بعيد عن المناسبات، وهذا ما يقره العقاد في تقديمه للفصل الثاني (لآلئ الأفكار) لديوان زميله عبد الرحمان شكري:« الشعر حقيقة الحقائق، ولب اللباب، والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر في متناول الحواس والعقول، وهو ترجمان النفس، والناقل الأمين عن لسانها، فإن كانت النفس تكذب فيما تحس به، أو تداجي بينها وبين ضميرها، فالشعر كاذب، وكل شيء في هذا الوجود كاذب»

كما أنهم دعوا إلى مراجعة موسيقى الشعر العربي، بالتنويع في البحور والقوافي بما يلائم الأغراض والمعاني، لأن علم العروض في نظرهم علم نام متطور متجدد عبر العصور والأزمنة « نما فن العروض العربي، وتعددت بحوره، ومضى على سنة التجدد

---

[1]- (يعرف شوقي ضيف هذه الجماعة بأنها مدرسة روادها عبد الرحمان شكري ثم المازني والعقاد، وهذه المدرسة بثت روحا جديدة في شعرنا الغنائي ودفعته نحو تطور واسع، وقد أصدر شكري عام 1909 ديوانه "ضوء الفجر" تعالج قصائده معاني إنسانية عامة، تنبع من قلب صادق الإحساس بمشاعره، وبما توحي به الطبيعة من حوله، فهو شعر كامل الذاتية، وجدد في القوافي، واستخدم المزدوج والمرسل، كما أخرج المازني الجزء الأول من ديوانه، وقدم له العقاد أيضا، فصور طريقتهم الجديدة التي تقوم على وصف الآلام الإنسانية حتى ليصبح الشعر زفرات وعبرات، وكان المازني يسخر من محافظة شعراء النهضة على الصيغة الرصينة التي يستمدونها من القدماء، ولعل من الغريب أن الثلاثة انقسموا على أنفسهم في آخر الأمر. ينظر إبراهيم، أبو الخشب: تاريخ الأدب العربي في العصر الحاضر، ص 230، 231).

في تعديد هذه البحور في كل دور من أدوار الحضارات العربية، منذ عهد الجاهلية إلى عهد الدولة العباسية إلى عهد الأندلس، إلى هذا العهد الذي بلغت فيه أوزان الموشحة مع أوزان الأغنية غاية ما تحتاج إليه للوفاء بأغراض المعاني، وأغراض الموسيقى والتمثيل، بل أغراض الملاحم الطوال، إذا دعت ضرورة النظم إلى تنويع البحر والقافية، وتنويع وزن الشطرة والبيت في أنماط من القصيد» ، ففي قصيدة مطولة لعبد الرحمان شكري بعنوان (كلمات العواطف)، يشرح فيها الشاعر ما يحزنه من أمور الدنيا، وأثرها في عواطفه، استخدم ما يسمى بالشعر المرسل القائم على تعدد القوافي وتنوعها من بيت إلى آخر:

خليلي والإخاء إلى جفـــــاء إذا لم يغْذه الشوق الصحيح
يقولون الصحاب ثمار صـدق وقد نبلوا المرارة في الثمار
شكوت إلى الزمان بني إخائي فجاء بك الزمان كما أريـد
أراني قد ظفرت بذي وفـــاء له خلق يضيق عن الريـــاء

فعلى الرغم من تنوع القافية وحرف الروي من الحاء إلى الراء إلى الدال إلى الهمزة، مما قد يكسر تلك الرتابة والنغمة المطردة التي تحسها الأذن أثناء ترديد الشعر الموحد القافية، إلا أننا نلمس انسجاما واتساقا بين الأبيات، يصدق ما دعت إليه مدرسة الديوان من تلاحم بين أجزاء القصيدة في جسم واحد، كما تتكامل أعضاء التمثال، وأجزاء الصورة، وهذا ما اصطلح عليه بالوحدة العضوية.